ثانياً:

السعوديون وخدمات الحج

التمسوا وحدة الأمة.. في الحج

النزعة الوحدوية أمل الأمم جميعها. ولم يقتصر الأمل هذا على مجرد الأماني، ولكن كانت هناك جهود عملية على مر التاريخ هي محاولات للاتحاد..

ومن هنا يأتي توزيع العالم إلى أمم يجمع كلا منها رابط مشترك فيها، أو ربما روابط مشتركة فيها، وكلما كثرت الروابط زادت الحاجة إلى الانصهار في بوتقة واحدة، وكلما واجهت الأمة أي أمة، تحديات بشرية زاد تعلقها بالوحدة.

ولا تستثنى من هذا أمة من الأمم، والعرب جزء من أمة وليست أمة واحدة وحدها، وإن كانت لديها روابط تدفع إلى أن تكون أمة واحدة، كاللغة والعرق والمكان، إلا أنها تفتقر إلى رابط أهم من هذا عندما توافر فيها توحدت مع غيرها من الأجناس واللغات والأماكن، وعندما خف هذا الرابط وخفت طفقت العرب تبحث عن الوحدة بعيداً عن رابطة الدين الذي كون الثقافة المشتركة.

ولم يكن خفوت رابطة الدين عند العرب وغير العرب مفاجئاً، ولكنه جاء نتيجة لتكالب الأمم الأخرى على الأمة الواحدة، وساعد على هذا التكالب ومهد له الطريق ضعف الأمة نفسها وتهاونها في أولوياتها،

وطغيان أمور ثانوية على الساحة وعلى حساب الرابطة المشتركة، فكان الاستعمار الذي فككها مادياً، وجعلها شعوباً وقبائل لا تتعارف، ولكن تتناحر، وهكذا أراد الاستعمار وهكذا يظل يريد، وكان الاستشراق الذي فكك الأمة دينياً، بدأ بالعقيدة التي جمعت الأمة تحت منطلق واحد، ثم مروراً بالجوانب الشرعية التطبيقية من عبادات ومعاملات، وكان ما يسمى بالغزو الفكري الذي أريد له أن يكون ثقافة وافدة تحل محل ثقافة مؤصلة بدا عليها النحول، وتهافتت عليها الأمراض، وحاصرتها الأوجاع، وظهرت حركات تبحث عن الوحدة بعيداً عن ثقافة الدين، فتوزع المسلمون إلى وحدات غلبت عليها العرقية أو القومية التي أريد منها أن تكون البديل، وليس العامل المشارك أو العامل المساعد. والمسلمون أقوام وليسوا قوماً، وقوميات وليسوا قومية واحدة، فكان هناك شيء من الابتعاد والتباعد.

وأراد العرب أن يتوحدوا في مظلة عربية واحدة، وانبعثت الفكرة من بعيد. والبعيد هذا ليس بالضرورة بعداً مكانياً، ومنذ سنة ١٨٤٧ م والعرب في محاولات للوحدة من خلال قيام الهيئات أو الجمعيات العربية مثل الجمعية العربية السرية ١٨٧٥ م، وجمعية حقوق الملة العربية ١٨٨١م، وجمعية رابطة الوطن العربي ١٩٠٤ م، وجمعية الوطن العربي ١٩٠٥ م، والجمعية العربية للفتاة ١٩١١ م، والكتلة النيابية العربية ١٩١١م، وحزب اللامركزية ١٩١٢ م، والجمعيات الإصلاحية ١٩١٢ م، والمؤتمر العربي الأول بباريس ١٩١٢ م، وحزب العهد ١٩١٢ م، وجمعية العلم الأخضر ١٩١٣، وجمعية العلم ١٩١٤ م، وغيرها من المؤسسات القومية التي امتدت إلى بداية النصف الثاني من القرن الميلادي العشرين، مع ملاحظة أن جميع هذه الجمعيات قد راعت التاريخ الميلادي في التأريخ لتأسيسها وسيرة أعمالها، لانتشار هذا التأريخ

«التقويم» أولاً، ولخفوت التأريخ الهجري بخفوت أهله ثانياً، وهناك على أي حال استعارات كثيرة لا تتسطح بالتاريخ، ولكن تغوص في أعماق الفكر بحيث يجد الباحث أن الفكر القومي أراد أن يتقوقع على نفسه بإخراج رابطة الدين، فلجأ إلى روابط أخرى فكرية وثقافية تقوي رابطة القومية وتسندها.

ومثل هذه المحاولات وقبلها قامت محاولات عند قوميات أخرى، عندما رأت هذه القوميات أن العرب قد لجأوا إلى هذا التوجه ظهرت نبرة أنه ليس هناك أحد أحسن من أحد، وهذا صحيح.

ولكن هذه المحاولات كلها لم تستطع أن تكون هي البديل عن الرابطة الدينية، فترى في أفكارها وفي ممارساتها استعارات من الدين ـ أي دين ـ تكون خلفية مؤسس هذه المحاولات، ولم يستطع المؤسسون عملياً وتطبيقاً أن يلتقوا بعيداً عن أثر الدين في أنفسهم، والذين يؤرخون للمؤسسين يذكرون خلفياتهم العقيدية سواء كانوا يهوداً، أو نصارى أو مسلمين، فلا يقال أن هذه المؤسسة قد أنشأها العربي فلان وكفى، بل إن الأسماء ذات الدلالة العقيدية دالة على هذه الخلفية، ولم تكن هناك محاولات جادة للتغلب على هذه الانطباعة مما يثير شيئاً في النفس.

وحيث لم تكن هذه المحاولات هي البديل ظلت الممارسات الدينية مستمرة وظلت المساجد تستقطب أعداداً ممن حاولوا ولوج التجربة القومية، وظلت الرابطة الأوسع والأشمل قائمة يقصدها واقعاً أو أملاً معظم المنظرين لقومية عربية أريد منها الوصول إلى صيغة وحدوية، فكان الحج ولا يزال هو الشاهد الشامل على إمكان قيام الوحدة المؤهلة الأشمل من مجرد مكان أو لغة أو تاريخ أو آمال وآلام مشتركة.. وما استطاع الحجاج من القوميين أن يغفلوا تحقق الوحدة فعلاً وواقعاً في هذه الشعيرة.

والحج على هذا تطبيق عملي للوحدة، فالرب واحد، والمكان واحد، والزمان واحد، واللباس واحد، والقصد واحد، والجموع المتعددة واحدة في ساعة واحدة، ولعلنا نتابع المشهد الساعة السادسة بالتحديد من قبل غروب يوم الجمعة ٩/ ١٢/ ١٤١١ هـ يوم عرفة لنشاهد مصداق الوحدة، وهي ساعات القمة، ولكن الوحدة هذه ليست مقصورة عليها.

ومع هذه الوحدة تطبيقاً تجد الفروق قد ذابت ذوبان الجليد في يوم من أيامنا هذه.

فلا ينظر الناس إلى بعضهم على أن منهم الشريف وفيهم الوضيع، وبينهم لون يطغى على لون، أو عرق يفوق آخر، أو جنس مقدم على آخر، حتى العرب الذين هم حملة هذه الرسالة التي جاءت يذوبون بين الحجيج لا يتميزون ولا يميزون.

وإذا كانت الأقليات العرقية والقومية قد حاولت الوحدة فنزلت بها بسبب هذه المحاولات الويلات والأزمات والنكبات والنكسات، فلعل الأولى بها أن تطرح هذا العامل غير المشترك وتجعل من الحج منطلقاً لها في التصدي للتحديات التي تواجهها اليوم أكثر من أي وقت مضى.

ولعل الأولى بها أن تستغل هذا الموسم العالمي فيما يقوي اللقاء ويعين على الوحدة، فلا يكون موسم فسوق ولا جدال أو طغيان فكر محدود أو توجه غير شامل، فيحرص المسلمون على إبراز جوانب الاتفاق بينهم وهي كثيرة، ويطوحون بالجوانب التي تبعدهم عن بعضهم البعض وهي قليلة، وتوضع أحياناً في الصورة فتكبر في أعين الناس وهي صغيرة.

وليس من الحكمة أن يستغل هذا الموسم ذو الدلالات الواضحة على وحدة الأمة في شعارات أو نداءات أو إشارات تعمق في الأمة فرقتها

وتزيد الفجوة وسطها، وتنغص على الحاج رحلته وغرضه وتطلعاته في حج مقبول وسعي مشكور وتجارة مع اللّه لا تبور، فالرفث ومنه فحش الكلام ـ والفسوق والجدال قد يفسد الحج على الأفراد، بل وربما الجماعات والوقت يدعو إلى إشعار البعيدين من الأمم الأخرى بأن الأمة واحدة قادرة على التصدي لأي أطماع أو تلويث لوحدة الأمة.

ولقد عاشت الأمة تجربة الوحدة وأفادت منها كثيراً قوة وسعة وعدلاً وخيراً، ولم تكن التجربة بفضل من اللّه قاصرة أو ميالة إلى الإخفاق إلا عندما برزت البدائل المضادة على السطح، عندها حصل الخلل، فكان التفكك وكان ضياع القوة والسعة والعدل والخير إلا ما رحم اللّه.

وكل فرد يقف غداً في عرفات وكل فرد يعمد إلى صيام يوم عرفة من غير الحجاج، وكل فرد يشاهد الوقفة في عرفات من المسلمين، وكل فرد يسمع عن الوقفة، وكل فرد يقرأ عن الوقفة ملزم بأن يتمثل هذا الموقف مؤشراً حياً على وحدة الأمة، وهو مسؤول مسؤولية نسبية عن تحقيق مفهوم الوحدة بما أوتي من قدرة على القرار أو التأثير بدءاً بالأسرة فالمجتمع الصغير الذي يكبر ويكبر حتى يشمل الأمة كلها. وأظن أن هناك إحساساً اليوم بالرغبة الصادقة في الوحدة الشاملة في الأمة أكثر من ذي قبل وخاصة بعد أن تحطمت محاولات وحدوية أغفلت رابطة الدين عمداً، فكان مصيرها أن ضاعت وأضاعت وأكثرت من الجروح، وأسهمت في تأخر الأمة، بل إعادتها إلى الوراء، وبون شاسع بين وحدة جعلت من أهدافها الرئيسية القضاء على العامل الأول للوحدة. ولكل الحجاج هذا العام وكل عام الدعاء بالقبول. وكان اللّه في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٦٨٣٩

الخميس ٨ ذو الحجة ١٤١١ هـ الموافق ١٩٩١ م

التضامن في الحج..!!

جميع مناظر الحج رائعة.. الحركات المنتظمة.. الموقوتة.. تعرف وجهتها.. وتعرف إلى متى ستكون في مكان.. ثم تنتقل إلى مكان آخر يليه.. على مراحل.. كل حاج ينظر إلى أن ينهي مرحلته التي هو فيها.. لا يفكر في التالية.. ويحمد اللّه على الذاهبة.. منظر جميل لا يتوقف جماله على الحركة الظاهرة.. أو على الصوت المسموع.. أو على الصورة الجماعية.. يذهب الجمال إلى أعمق من هذا بكثير.. التضامن بين الأمة جانب مهم جداً.. الفروقات تذوب.. الكل هناك في المشاعر يدعى الحاج.. أو الحاجة.. يحتفظ الجميع بالألقاب.. لم نسمع ـ ولا نريد حقاً أن نسمع ـ سعادة الحاج.. أو معالي الحاج.. أو فخامة الحاج.. أو «الأسطى» الحاج.. أو الحاج الدكتور وغيرها وغيرها من الألقاب التي فتنا بها.. ونحن لا نريدها بالضرورة.. واللقب الشرف والحق هنا هو الحاج.. والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة.. جعلها من نصيب حجاج بيت اللّه الحرام.. هذا العام.. وكل عام مضى.. وكل عام يأتي..

ومن الجمال الرائع في الحج أن يتحقق التضامن بين القيادات الإسلامية في منى.. يجتمع الجميع في مجلس القائد لهذه البلاد. جميع

رؤساء بعثات الحج في مكان واحد جاؤوا ليترجموا الرغبة في أن يكون منطلق التضامن من مكة المكرمة والمشاعر.. ومن الجمال الرائع أن يقف مندوب عنهم جميعاً يتحدث باسمهم شاكراً حكومة هذه البلاد على ما تبذله في سبيل إنجاح مواسم الحج.. ومن الجمال الرائع كذلك أن يقول لسان هذه الحكومة إنها قد التزمت بالخدمة المناطة على عاتقها.. وزادت في التيسير بعد أن من اللّه عليها باليسر.. فالدور يقع على حجاج بيت اللّه الحرام في استغلال هذا التيسير لمصلحة أنفسهم مع إيثارهم أنفسهم وإيثارهم على أنفسهم.. وما دام هذا هو الديدن لهذه الحكومة بحيث يلحظ التغيير بين سنة أخرى.. وليس فحسب بين كل عشر سنين أو خمس سنين.. فإن الأجدر بضيوف اللّه في بيوت اللّه أن يقدروا لهذه الحكومة هذا الجهد الذي تؤكد دائماً أنه جزء من واجباتها في خدمة الإسلام والمسلمين.. ومن التقدير لهذه الحكومة ولشعب هذه الحكومة أن توضع الأيدي بالأيدي لتكون يداً واحداً مواجهة لكل ما يمكن أن يعكر صفو هذا الالتحام العميق.. ويحاول قطع الأيادي يداً إثر يد.. وقوة تلو القوة أملاً في إضعاف الأمة وتسليطها على بعضها واستنزافها خيراتها على الزائل السريع مقصداً إلى ألاّ تقوم لها قائمة..

وهذه الأيادي الملتحمة تحت مظلة، التضامن تكوِّن الجماعة.. الجماعة الحقة التي تستحق أن تكون يد اللّه تعالى معها.. فيترك الشاذ إلى مصيره بعد أن تعيى به الحيلة ويركب رأسه عناداً ومكابرة..

لقد كان منظراً رائعاً أن تجول آلات التصوير التلفزيوني بين الوجوه.. فيعرف المرء منها وجوهاً.. وينكر أخرى جهلاً بها.. لا شيء آخر.. وجميل جداً أن يرى المرء العالم الإسلامي والأقليات الإسلامية مجتمعة في مكان واحد في وقت واحد بضيافة رجل واحد.. فيرى المرء هذا المنظر ويدرك أنه ليس بيننا وبين التضامن إلا أن يتكرر هذا المنظور

مرات ومرات في أوقات أخرى.. وفي أماكن أخرى يكون منطلقها هذا المكان.. وهذا الوقت.. وهناك العوامل التضامنية كلها متمثلة في هذا التقليد السنوي الذي يبدو أنه يزداد روعة كل سنة.. وكلما أحست الأمة بحاجتها إليه.. وكلما واجهت الأمة من الأزمات ما يؤكد الحاجة إليه.. ونحن أمة واحدة.. هكذا قدرنا.. وسنكون إذا أردنا.. ولن نكون إذا أردنا.. والله تعالى يريد لنا الخير. ويضع يده تعالى علينا.

لقد أضفى هذا المنظر الجماعي روعة على روعة الجمع هذا العام.. وزاده روعة أيضاً تأكيد القيادة.. وتكرار التأكيد على التضامن الإسلامي.. ما يوحي بأن القيادة تفتح يديها للجميع في سبيل تحقيق الهدف.. وتعين الجميع على تحقيق الهدف.. وتسأل الجميع المعاونة على تحقيق الهدف.. والبناء دائماً يمر بمراحل.. يصعب قفز مرحلة إلى تاليتها.. ويصعب التسرع في الانتهاء.. والذي لا يصعب أبداً ـ بعون الله ـ هو البدء.. وها قد بدأنا على بركة الله..

المعاني النفسية للحج

اليوم الأحد التاسع من شهر ذي الحجة لعام ١٤١٠ هـ يوافق ١/ ٧/ ١٩٩٠م يعني مرور هذا اليوم وقوف المسلمين في عرفة أكثر من ألف وأربعمائة «١٤٠٠» وقفة وكل وقفة تختلف في النفس عن التي سبقتها.

في عمر الإنسان هناك نماذج لمسلمين حجوا أكثر من ثلاثين مرة في عمرهم، وكل وقفة بعرفة جديدة عليهم من حيث المشاعر الغامرة، وكأن الواحد منهم يقف في عرفة لأول مرة في حياته. فكل حجة يحجها المرء لها طعم يختلف عن الحجة السابقة سواء كانت السابقة من العام الماضي، أو قبل خمسة أعوام مضت، أو عشرين عاماً مضت، لا فرق في الشعور الداخلي لدى الحاج، يتطلع في هذا اليوم العظيم إلى أن يشمله عفو من اللّه وغفران منه ورحمة، ويتطلع إلى أن يعود من حجه كيوم ولدته أمه.

وفي هذا الشعور الداخلي حكمة من اللّه تعالى تجعل المرء لا يشعر بأنه يقوم بعمل طالما قام به من قبل، وطالما سيقوم به من بعد، إن بقي على قيد الحياة. وهكذا ينبغي أن يكون الشعور ليس في الحج فحسب، ولكن في جميع الأعمال التي يقوم بها العبد يقصد من ورائها مرضاة اللّه تعالى كالصلاة والصدقة والصوم وبقية العبادات بما فيها المعاملات.

ولهذه الوقفة العظيمة معان في النفس يختلج بها الفؤاد. وتعبر عنها التطلعات إلى السماء تطلعات مصحوبة بالرجاء والخوف.. وهذا هو القاسم المشترك بين الحجاج الذين يقفون اليوم في عرفة.

إلا أن هناك من الحجاج فئة قدمت من خارج البلاد. بعيداً من البلاد.. كانت تحسب لهذا الموقف حسابات كثيرة. الرحلة بالنسبة لهؤلاء لم تكن هينة.. نحن نعرف أن هناك من يصل مكة المكرمة من الداخل في اليوم الثامن وينهي حجه في اليوم الثاني عشر فلا تزيد أيامه في المشاعر عن الخمسة. ولكن هناك تلكم الفئة التي تستغرق معها الرحلة عديداً من الأيام.. سنين في الإعداد للرحلة.. وأشهر في الرحلة نفسها.. ولهذا تجد هذه الفئة تحاول أن تأخذ من الحج كل ما تستطيع رغبة في أن تكون قد أدته على الوجه الذي تعتقد هي في أنه الكمال.

المعاني النفسية

هنا بيت القصيد في هذه الوقفة عند هذا الموقف العظيم. فالحج في أيامه كلها عبادة توقيفية.. الزيادة فيه غير مرغوب فيها.. والنقص فيه قد يخل في مدى كماله.. وقليل من هذه الفئة من ينقص نفسه فيه عن عمد.. ولكن عدداً لا بأس به من الحجاج يزيد فيه زيادة ربما تخل به.. وتخرج به عن مجرد أداء فريضة فرضها اللّه على المستطيع من عباده.. هناك بعض المبالغات التي تمليها النفس.. ولا أساس لها من دليل شرعي.. يقوم بها البعض ليستغل فرصة وجوده فيبالغ في أدائها.. تقبيل الحجر الأسود وسط الزحام مثلاً.. تعريض الحاج نفسه للشمس والتعب والنصب مثلاً. مزاحمة الناس بشكل غير طبيعي مثلاً في المشاعر.. الإفراد في استخدام ماء زمزم مثلاً.. إرهاق النفس وعدم إعطائها كفايتها من الراحة.. واللّه سبحانه وتعالى يحب أن تؤتي رخصة كما يحب أن

تؤتي عزائمه.. وليس هذا انتقاداً لمن يأتون العزائم، فالمرء يدرك ما يرمون إليه.. ولكن الوقفة مركزة على المبالغة التي قد تؤثر أحياناً على الشعيرة التي يقوم بها الحاج.

زيارة المدينة المنورة

ومن المعاني النفسية للحج اعتقاد البعض أن حجهم لا يتم إلا بزيارة المدينة المنورة.. قد يعبر عنها البعض بهذا.. ويعبر البعض عنها بزيارة مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بالمدينة المنورة.. ويعبر عنها آخرون بزيارة قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه في المسجد النبوي بالمدينة المنورة.. وتكون الزيارة قبل البدء في مشاعر الحج أو بعد الانتهاء منها.. ولكن هؤلاء لا يعبرون عنها بهذا وإنما يبدأون بها مشاعرهم أو ينهون بها مشاعرهم.. والزيارة طيبة إذا كانت للمسجد منهي عنها إذا كانت للقبر. ولكنها ليست ركناً أو شرطاً أو واجباً في الحج.. ويكمل حج المسلم إذا لم يزر المدينة المنورة.. والمشكل هنا أن هناك فئة قليلة من المسلمين تعطي الزيارة أهمية أكثر مما تعطيها لمناسك الحج التي قد لا يتم الحج إلا بها.

ولا يفهم من هذا التقليل من شأن زيارة مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ثم السلام عليه ـ عليه السلام ـ وعلى صاحبيه ـ عليهما من اللّه الرضوان ـ ولكن أن تصل المعاني النفسية بالمسلم إلى أن تطغى مستحبات على واجبات فهذا أمر يسترعي التنويه بعدم ترك أمور العبادات التوقيفية خاضعة للنفس البشرية ترسم لها أولوياتها حسبما يعتري المرء من شعور تجاه نسك أو شعيرة من شعائر الحج.

وماذا بعد؟!

فما دامت العبادات ـ ومنها الحج ـ توقيفية فمن الأجدر بكل فرد أن

يأخذها من منابعها.. ولا يترك لنفسه أن تتدخل في زيادة أو نقص.. ومن باب أولى ألا يترك لعقله أن يتدخل في هذه الأمور بزيادة أو نقص أو تغيير وجهة. وعلي بن أبي طالب ـ رضي اللّه عنه ـ له موقف من تدخل العقل في العبادات التوقيفية حينما قال إنه لو كانت هذه الأمور تؤخذ بالعقل لكان المسح على القدم من باطنها لا على ظاهرها.. لأن الباطن هو الذي يدوس على الأرض.. وعندما سألت امرأة عائشة رضي اللّه عنها عن السرّ وراء قضاء المرأة الصيام وعدم قضائها الصلاة حينما تنقطع عنهما. كان رد عائشة أن النساء تعمل هذا لأنهن أمرن أن يفعلن هذا. وهذا يوحي بالتسليم المطلق للآمر. ولو كان التسليم على حساب تحكيم العقل وتحكيم النفس وما تمليه من معان قد لا تتفق والحكمة من العبادات.

هنيئاً لجميع المسلمين الذين وقفوا اليوم بعرفة.. وهنيئاً لجميع المسؤولين الذين هيأوا للمسلمين الوقوف بعرفة.. ودعاء إلى اللّه تعالى أن يجعله حجاً مبروراً.. وأن يجعل سعيهم مشكوراً وأن يجعل ذنوبهم مغفورة.. وأن يشركنا معهم بالأجر والثواب.. فرب امرىء أحجم عن الحجة إيثاراً.. وكان يتمنى أن يحج.. ورب امرىء يتمنى الحج ولكن لا يملك له زاداً ولا راحلة.. ورب امرىء يملك الزاد والراحلة ولكن لا يملك القوة البدنية والصحة التي تحمله في هذه الرحلة الطيبة.. ورب امرىء يكسب أجر الحاج ولو لم يحج.. ورحمة اللّه واسعة.. هنيئاً للجميع بمرور موسم جديد خال من جميع ما ينغص على الحاج حجه.. ومزيداً من الدعاء بالعون والتوفيق لكل من يقف وراء هذه الجهود محتسباً الأجر من اللّه والثواب. وكان اللّه في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٦٤٨٥

الأحد ٩ ذو الحجة ١٤١٠ هـ الموافق ١ يوليه ١٩٩٠ م

أصوات متعددة.. وعالم واحد..!

أنا أستعير اليوم هذا العنوان من كتاب في الاتصال والمجتمع اليوم وغداً لمجموعة من الكتاب كان صدر عن اليونسكو والشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر سنة ١٩٨١ م. وهو كتاب يحتاج إلى أن نقف معه وقفة غير قصيرة.

ولكني هنا أتصور الناس يوم الإثنين وهم يقفون بعرفة وهم يزيدون عن المليون حاج يدعون اللّه سبحانه وتعالى بلغات مختلفة لا يكاد يحصيها إلا من خلقها، ولكنهم جميعاً عالم واحد يدعون رباً واحداً ويرجون رحمته ويخافون عقابه. هذا الموسم بهذه الصورة يعجز الكثيرين سواء منهم من عاشه أو من لم يعشه وإنما سمع عنه وشاهد وقرأ. شيء عجيب أن تتألف القلوب وتترك كل شيء وراءها من متاع الدنيا وتقف ليس بينها وبين اللّه حجاب وقطرات الدمع تسيل ولا يعلم بها صاحبها لأنه في شغل شغله عنها.

ويطيب لمن سبق له الحج أكثر من مرة ويحج هذا العام أن يدور بين الخيام وبين السيارات يسمع هذه الأصوات فيزداد طمأنينة وإيماناً عندما يقدر أن هؤلاء جميعاً على تفرق لغاتهم أتوا هنا ليشاركوه المطلب فيعبرون عن ذلك بتعابير مختلفة تصل لدى البعض إلى أن ينسى نفسه

فينخرط في نحيب مسموع تائباً إلى اللّه عائداً إليه من رحلة كانت مليئة بالقلق والخداع لنفسه ولخلق اللّه فتراه بعد هذا المشهد العظيم يعود إلى بلاده وكأنه قد لبس حلة جديدة، بل أن بعضهم يعمد إلى لبس يأخذه من المملكة لا لشيء إلا ليشعر الآخرين بأنه عائد بثوب جديد، فلا يتوقعون منه ما كانوا قد عهدوه فيه من خلق غير سوي. يودع هذا الأسلوب في التعامل بعد أن وقف هذا الموقف وعاهد نفسه على أن يطيع اللّه فلا يعصيه أكثر مما عصاه من قبل. ويوطن العزم على تجديد التوبة كلما وسوس إليه الشيطان بالعودة إلى سيرته الأولى ويعقد النية على العودة إلى مكة والمشاعر يقوي من خلالها عزيمته ويجدد إصراره على أن يكون عبداً صالحاً نافعاً لنفسه وأهله ووطنه وأمته.

آثار الحج...

ويراه قومه وقد تغير عليهم، فيظن البعض أنها نشوة الحج فلا يلبث أن يعود إلى ما كان عليه، ويأمل آخرون أن يدوم عليه هذا التغير إلى الأفضل كما دام مع من سبقوه وحجوا بيت اللّه الحرام. وتمر الأيام ويزداد صاحبنا ثباتاً ويطرق أبواب العلم والعلماء ويجالس طلبة العلم ويتأكد لقومه أن صاحبهم عائد إلى الخير والاستقرار فيشكرون اللّه أن منَّ عليه بالحج إلى مكة فكان منه ما كان ويذكرون مكة وأهل مكة بكل خير، إذ كانت ولا تزال منطلقاً من منطلقات التوبة والرجوع إلى اللّه.

والحق أن هناك نماذج من المسلمين يزداد سلوكها الطيب رسوخاً بعد أن تحج بيت اللّه الحرام. وهذا منطلق طبيعي للمسلم.

واقع بعض الحجَّاج:

ذلكم واقع محمود حينما يكون للحج أثر ممتد على الحاج وعلى مجتمعه. والحق أن هناك نماذج من الحجاج كثر أداؤهم لهذه الشعيرة

بحيث أصبح السفر إليها ضرباً من التكرار المحبب وهذا الواقع قد لا ينطبق إلا على القريبين من مكة من أهل البلاد عموماً. وهؤلاء تجدهم في عرفة وفي منى فتعرفهم وتود لو فسحوا المجال لغيرهم ممن يؤدون الفريضة أول مرة.

حقاً أن هذه النوعية قليلة وصعب التحكم فيها فليس هنا دعوة إلى النظر إليها بشيء من التحكم ولكن إن كان هناك من دعوة فهي إلى هذه الفئة من الحجاج «تعودت» على الحجة أن تترك المجال للآخرين في وقت تزدحم فيه المشاعر بالقاصدين، ومن ثم يزداد حجم الخدمات التي تقدم من جميع الفئات التي تحرص على أن تقدم للحجاج الراحة والطمأنينة والأمن والسلامة. ومع قلة هذه الفئة وكونها لا ترقى إلى أن تكون ظاهرة إلا أن مجرد وجودها كفكرة يحتاج إلى التنويه إليها كي تكتفي بما أدته في حجها في الأعوام السابقة، ولهم الأجر في إتاحة الفرصة لسواهم من المسلمين الذين يحجون لأول مرة.

المـؤثـرون..

وإزاء هذه الفكرة تجد اليوم مجموعات غير قليلة من المسلمين الذين سبق أداؤهم للفريضة آثروا أن يبقوا في ديارهم ليتيحوا المجال للآخرين. خاصة وأن هؤلاء المؤثرين قد سبق لهم الحج فرضاً وربما نفلاً، فعقدوا العزم على أن يعملوا صالحاً في عشر ذي الحج من صيام وذكر ودعاء وصدقة وأضحية، قد توصلهم بإذن اللّه إلى أجر الحاج عندما تكون النية خالصة ويكون القصد من وراء عدم الحج مجرد الإيثار. وكثيراً ما دعا الأئمة والخطباء في المساجد صراحة أو تلميحاً إلى مثل هذا الإيثار وأكدوا عليه. بل إن منهم من سأل أيحج أم يتصدق بنفقات الحج على المجاهدين والمحتاجين، فكان الجواب من عالم أن يتصدق ما دام حجه

نفلاً لا فرضاً. وعليه فإن الإيثار هنا مطلوب شرعاً مع كثرة الوافدين إلى الحرمين الشريفين رعاهما اللّه تعالى بعنايته. ناهيكم عن الآثار التي يتركها الإيثار خاصة لمن أراد أن يعوض عن الحج بالصدقة، فهذه تنعكس على المجتمع المسلم كله، وليس على الفرد ذاته أو على من يحج عنه، وعليه فإن فكرة الإيثار هذه تستحق التأكيد عليها بل والتشجيع عليها من قبل الأئمة والخطباء وذوي الكلمة المؤثرة في المجتمع المسلم عموماً وفي المجتمع الخليجي بوجه خاص.

أهل مكة والمدينة:

ويبقى أهل مكة والمدينة ينعمون كل سنة بهذا الموسم ويستغلونه استغلال من يبحث عن الثواب عند اللّه. فتراهم يسدون الخدمات الذاتية لحجاج بيت اللّه دون حاجة إلى إطراء وترى فيهم نماذج تؤثر ألا يعرف أحد ما يقدمونه إلى الحجاج، لأنهم يريدون بذلك وجه اللّه سبحانه وتعالى. وتلكم نعمة من نعم اللّه تعالى على مكة والمدينة أن يجعل فيهما من أهلهما من يعين ضيوف الرحمن على أن يؤدوا فريضتهم على خير وجه، وتلكم خدمات صغيرة لا تضاهي الخدمات الجليلة التي تقدمها الدولة، ولكنها خدمات أيضاً مكملة، لها أثرها على الحاج أثراً يبقى معه طيلة عمره انطباعة يأخذها معه عن أولئكم المسلمين الذين ينعمون بوجودهم عند بيت اللّه فيقدرون هذه النعمة وتنعكس على غيرهم من قاصدي بيت اللّه.

والآن وفكرة التطوع تلقى ترحيباً واسعاً من قبل المسؤولين يجدها المرء فرصة ليقدم ما يستطيعه دون أن يطمع في مردود مادي يعود عليه بنفع في الدنيا، إذ إنه يقصد نفع الآخرة، فتبرز هذه الفكرة تعينه على الحصيلة المقبولة ـ بإذن اللّه ـ من الأجر والثواب.

وفكرة التطوع - وهي كما توحي الكلمة - عمل ذاتي يحدوه العزم على تقديم الخدمات يمكن أن تخضع للتنظيم المسبق بحيث يؤخذ مجموعة من أبناء مكة والمدينة، وهم يعرفون شعابها، فيعطون فكرة شاملة عما يتوقع منهم مع كل حاج، فلا تلبث أن ترى شباب مكة والمدينة وقد ازدانت صدورهم بما يسبغ عليهم الفخر والاعتزاز، لأنهم يخدمون ضيوف الرحمن يؤازرهم في ذلكم إخوتهم الشباب من بقية مدن وقرى البلاد.

وتلكم إيجابية من الإيجابيات الكثيرة التي يتحلى بها شباب هذه البلاد الطيبة الطاهرة، أصبحت حديث الناس ومضرب المثل.

ويتوقف المرء عند هذا الموسم وهو يسمع هذه الأصوات المتعددة، فيؤثر ألا يسترسل في الحديث فيفسد شيئاً من حلاوة هذا اللقاء مع اللّه تعالى. ولا يملك إلا أن يدعو بالقبول لكل حاج عاش هذه التجربة وضحى في أشياء كثيرة في سبيل أن يرضي اللّه تعالى بالقيام بركن من أركان الإسلام، كما يؤديه أي مسلم آخر في صعيد واحد مؤكدين جميعاً على أنه وإن تعددت الأصوات فالعالم الإسلام واحد. واللّه المتسعان.

السبت ٧ ذي الحجة ١٤٠٧ هـ

- ١ أغسطس ١٩٨٧ م - العدد ٥٤٢٠

الأمن في الحج..!!

يسعى الإنسان بفطرته إلى تحقيق مجموعة من الضروريات الحياتية التي لا تستقيم حياته إلا بها ولا يؤدي وظيفته التي خلق من أجلها على الوجه المطلوب إلا باتخاذ هذه الأسباب. وهذا ما يمكن أن نسميه بالأمن بالمعنى الشامل والعريض لكلمة أمن بحيث يدخل بها الأمن النفسي والأمن الأسري والأمن الاجتماعي والأمن الصحي والأمن الغذائي والأمن الوظيفي والأمن من الآخرين، والأمن الروحي الذي يُعد بحق أول هذه الأنواع وغيرها وأهمها.

والحج عبادة تؤمن الجانب الروحي من المفهوم الشامل للأمن، وهي عبادة فريدة فيها من المعاني الكثير، ومن معانيها تجمع أجناس مختلفة وفئات متفاوتة من الناس بلغات متعددة وجهات متباينة بين شمال وجنوب وشرق وغرب، ويتبع هذا التفاوت الاختلاف في العادات والتقاليد في الأكل والملبس والتعامل وهذا الاختلاف «المحلي» يتحطم أمام هذه الشريعة الفريدة والأصل فيها أن يكون الناس سواسية كأسنان المشط يقفون بين يدي اللّه تعالى خاضعين خاشعين لا يفرق المرء فيهم بين غني وفقير وشريف عزيز وحقير ولا يختلفون أمام اللّه تعالى إلا بقدر ما عندهم من التقوى.

والذين يفدون إلى المشاعر داخلون جميعاً في حدود البشرية التي أراد اللّه لها أن يعتريها التقصير فتحصل منها التجاوزات التي تؤثر في المفهوم الشامل للأمن، ومن ناحية أخرى فإن جزءاً غير يسير من الوافدين لا يتوقع منهم أن يكونوا على إطلاع كامل بالطرق التي تؤدى بها هذه الشعائر ومن هنا تأتي فكرة المطوفين، فإذا اجتمعت الناحيتان؛ البشرية في الحجاج والمعتمرين وعدم الفقه الكامل بالشعائر المشاعر توقع المرء شيئاً من التجاوزات التي قد ينتظر منها أن تكون عفوية وغير مقصودة.

ومن حكمة اللّه تعالى وواسع علمه أنه تعالى يحذِّر الأمة بأن هذا مكان قد تقع فيه التجاوزات فيؤكد تعالى أن ﴿**الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج**﴾ بحيث يتحقق الأمن الروحي لجميع الحجاج.

وقد أخذت المملكة العربية السعودية على عاتقها أمانة خدمة الحرمين الشريفين وخدمة الحجاج والمعتمرين وزوَّار مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وتحقيق الأمن في هذه البقاع الطاهرة فتسعى الآن كما سعت من قبل إلى تحقيق المفهوم الشامل للأمن في هذه الفترة وفي غيرها من فترات العام. ويمكن للمرء أن يعدد الوسائل التي تتحقق من خلالها هذه الفطرة في الإنسان:

- فالأسعار على السلع والمستهلكات مراقبة، والسلع والمستهلكات متوافرة.
- ووسائل الاتصال السريع متوافرة في كل مكان.
- والمياه لأغراض الاستخدام اليومي موزعة بين المخيمات.
- ومياه الشرب الباردة توزع بين الناس.
- والصحة وخدماتها منتشرة في كل مكان وبإمكانات هائلة.
- الإنارة منتشرة بين المخيمات.

- وشباب الجوالة والكشافة بسطوا قلوبهم خدمة لكل حاج.
- ورجال الدفاع المدني على أهبة الاستعداد.
- ورجال المرور يملأون الميادين، وفرسان المنافذ (الجمارك) يعملون ليل نهار.
- ورجال الشرطة قد انتشروا بين الحجاج.
- والنقل بين المشاعر على طول اليوم والليلة.
- وصنّاع القرار ساهرون في مكاتبهم يعملون على تلافي أي عجز أو تقصير.

وغير ذلك كثير من الوسائل بحيث يؤدي الحاج والزائر شعائره باطمئنان ويسر وسهولة ويعود إلى دياره شاكراً اللّه تعالى أن يسَّر له أداء هذا الركن بهذه الطريقة التي لم يكن يؤديها بها آباؤه وأجداده من قبل، وشاكراً اللّه تعالى أن سخر لهذه المشاعر من يسهر على خدمتها مبتغياً بذلك وجه اللّه والدار الآخرة والصدقة الجارية المقبولة بإذن العليم الخبير.

بقي أن نؤكد مرة أخرى على بشرية العباد وأن بعض النفوس ضعيفة وأنها تحاول أن تستغل هذه الشعيرة لمطامع فردية شخصية أو لمطامع سياسية بعيدة عن الروح التي تطغى على الجو العام لهذه الشعيرة، فتكون لها هذه الأجهزة بالمرصاد، فتجعل من تدبيرها تدميراً لها بفضل من اللّه تعالى وعونٍ منه، فينتفي في الحج بسبب من هذه الوسائل والأجهزة الرفث والفسوق والجدال، ويتحقق الأمن بمفهومه الشامل الذي يزداد التأكيد عليه عاماً بعد عام بفضل من اللّه ثم بجهود المخلصين الذين يخططون ويقوِّمون كل موسم يمرُّ ويأخذون منه العبر ويتخذون من نتائجه القرارات.

وفق اللّه جميع العاملين على راحة ضيوف الرحمن وعلى أمنهم، وجعل هذا كله في ميزان حسناتهم، وكان اللّه في عون الجميع.

هنيئاً لكم يا هؤلاء

ونحن في بداية موسم طيب نلاحظ أن الأعداد تتزايد متجهة إلى بيت اللّه الحرام لتؤدي ركناً من أركان الإسلام، وإذا صحت التوقعات فإن مجمع أعداد الحجاج لهذا العام ١٤٠٤ هـ قد يصل إلى ثلاثة ملايين حاج وحاجة جاؤوا من مختلف بقاع الدنيا ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اللّه في أيام معدودات، يعودون بعدها سائلين اللّه القبول، وقد وطنوا النفس على محاولة تكرار التجربة بعد أن لاقوا من الخير الشيء الكثير بما في ذلك العقبات الصغيرة التي تعترضهم أثناء قيامهم بهذا المنسك، إذ إن وراء العقبات تلك أجراً أن أريد من ورائها ذلك.

ولكن العقبات في هذه الأيام بدأت بالاضمحلال شيئاً فشيئاً، فالذي حج من سنوات عدة وحج بعدها يلاحظ أن كل موسم يختلف عن سابقه من حيث محاولة القضاء على العقبات التي تعترض طريق أداء الحج منذ أن يغادر الحاج منطقته. ونحن نعلم أن الحجاج في فترة زمنية سابقة كانوا يتعرضون إلى ويلات الطريق قبل أن يصلوا إلى المشاعر المقدسة، ويأتي على رأس هذه الويلات قطع الطريق، وربما عدم الوصول إلى المشاعر في بعض الظروف، إذ ربما وصل الأمر إلى أن يفقد المرء حياته شهيداً وهو في طريقه إلى مكة أو في طريقه إلى بلاده بعد أن أدى ما عليه، ثم

بعد هذا تذلل العقبات ويقوم رجال كثير إلى العمل لإخراج موسم الحج بالمظهر الذي يجعل الحاج يحمد اللّه حمداً كثيراً أن قيض اللّه لهذا البيت من يخدمونه خدمة جعلوها أحد أسمى إنجازاتهم.

والواقع يثبت أن تذليل العقبات لا يبدأ في بداية الموسم، بل ربما بدأ في نهاية الموسم السابق أو الذي قبله وهكذا، فالمسألة هنا تخضع إلى تخطيط ودراسات للمشاكل التي تعترض كل موسم، ولذلك نرى أن كل سنة تتفوق على سابقتها في إتباع أساليب تذليل العقبات، وهذه الدراسات التي تدور حول الحج ومواسمه لا تبدو لكثير من الناس، ولكن هناك الكثيرين الذين يعملون في هذا المجال ممن لا ينتظرون الدعاية فهم يخدمون غرضاً نبيلاً، إنهم يخدمون بيت اللّه ويخدمون ضيوف الرحمن.

وإذا تخطينا هذا إلى الملاحظ والمشاهد والذي تبدأ بوادره تظهر للناس عند نهاية عيد الفطر المبارك نجد أن هناك الكثيرين الذين وطنوا أنفسهم لخدمة حجاج بيت اللّه، وقد لا يسمح المقام هنا بأكثر من التمثيل لهم:

ـ فهناك الذين يعملون في مدن الحجاج من موظفي أمن ومرشدين وكشافة يهدون المسافرين إلى طريق مكة من أي مكان قدموا. . وقد علمت أن القادمين على مدينة كبيرة أو صغيرة من الحجاج يستقبلون في هذه المدن وتقدم لهم أساليب كثيرة للراحة والإرشاد. فإذا أرادوا المغادرة ركب معهم أحد الفتية من الكشافة ليخرجهم من المدينة سالكين طريق مكة، بعدها ينزل الفتى في محطة معينة مودعاً إياهم راجياً اللّه لهم حجاً مبروراً.

ـ وهناك رجال الإحصاء الذين وقفوا على مداخل كثيرة أهمها مداخل الحرم ليفرزوا الحاج من غيرهم، ومن ثم يحصونهم ويتأكدون من سلامة البيانات وتوفر الأوراق، بعدها يفتحون لهم الطريق ليتجهوا إلى بيت اللّه بادئين مشواراً مليئاً بالروحانية.

ـ وهناك رجال الأمن الذين اختاروا أن يسهروا الليل كله، وأن يقفوا تحت الشمس موجهين الحجاج إلى الطريق السليم لاستخدام جميع الوسائل التي تعينهم على أداء هذه المناسبة على أكمل وجه، وهم ـ رجال الأمن ـ يتبعون في هذا أحدث الوسائل التي ظهرت حتى الآن في سبيل تحقيق الأهداف التي من أجلها يعملون، ومهما قيل في رجل الأمن في هذه المناسبة وفي غيرها فلن يوفيهم القول ما يستحقون.

ـ وهناك رجال المطافىء ـ وهم شعبة من رجال الأمن ـ وقد جندوا الطاقات واستعملوا وسائل تقنية حديثة للتأكد من عدم استفحال مصيبة تسببها شرارة من كبريت، وهم بهذا يتبعون وسائل إرشادية للحجاج والمطوفين تقوم على محاولة الإطفاء الذاتي لأي حريق قد يحدث بين الخيام وذلك باستعمال ـ طفايات الحريق اليدوية ـ وحسن استخدامها حتى يصل الأسطول برجاله إن دعا الأمر ذلك.

ـ وهناك رجال الصحة وما وفروه من وسائل إرشادية أيضاً في محاولة لعدم الاضطرار إلى وجودهم، أما إذا وجدوا فهم رجال أكفاء قد دربوا على أن يعالجوا قضايا وأعراضاً قد تكون خاصة بهذا الموسم مثل ضربات الشمس التي يحتمل أن تحدث لأكثر من حاج في هذه الفترة من الزمن.. وهؤلاء الرجال قد جهزوا بجميع ما يتصور وما لا يتصور من أساليب أداء الخدمة أداءً فعالا، حتى وصل الأمر إلى استخدام الإسعافات الطائرة وإجراء العمليات جواً إن دعا الأمر لذلك، وتتضافر في هذا جميع الجهود الصحية في وزارة الصحة والخدمات الطبية في وزارة الدفاع والطيران والحرس الوطني ووزارة الداخلية لتقديم خدمة أفضل.

ـ وهناك إدارة الإرشاد الديني التي تقوم بطبع الكتيبات وتوزيع المعلومات على الحجاج بلغات مختلفة تنير لهم الطريق وتعينهم على أداء الفريضة على أكمل وجه، بحيث تخلو الشعيرة من أمور ربما أفسدت

الحج كله، فيخسر معها الحاج ما بذله من جهد ومال، بل ربما حصل على الآثام في حجه بدلاً من أن يؤدي فرضاً كتب عليه، ومهمة رجال الإرشاد والتوجيه والإفتاء من المهمات الدقيقة، إذ إنها لا تتوقف في أدائها على تقديم خدمات محسوسة بل هي تعالج فكر الحاج ومدى وعيه وتقبله وفهمه لما يراد منه.. وفي هذا الموسم يلاحظ أن كثيراً من العلماء قد وقفوا أنفسهم للفتوى والإرشاد، وجلسوا في مواضع خصصت لهم بحيث يكونون قريبين ليجيبوا على قضايا وأمور تحدث في وقتها وتحتاج إلى الرأي المطلع، بحيث تتجنب الاجتهادات الفردية التي لا تقوم على علم شرعي.

- وهناك وسائل الإعلام بأنواعها التي جندت طاقاتها لتقديم معلومات مستفيضة عن هذه الشعيرة، والذي يتابع وسائل الإعلام يلاحظ أنها تتبع وسائل فعالة في أداء هذه المهمة، فالوسائل المرئية عمدت إلى استجلاب العلماء والمختصين وأجرت معهم الأحاديث والمقابلات، بالإضافة إلى الأحاديث التوجيهية التي تقدمها القناة الثانية بلغات متعددة. وتشارك الوسائل المرئية في هذا الوسائل المسموعة حيث نسمع وبلغات متعددة أيضاً البرامج التي تركز على هذا الموسم وتحاول أن تغطيه من جميع جوانبه، أما الصحف فلا تكاد تخلو صفحة من صحيفة دون التعرض لهذا الموسم، حتى لتجد ذكر هذه المناسبة في الصفحات المخصصة للدعاية والإعلان.

- وهناك رجال المواصلات وما يقومون به من توفير وسائل للنقل ووسائل للاتصال من بريد وهاتف ومبرقات.. ويوفر هؤلاء الحافلات التي تنقل الحجاج من منطقة إلى أخرى، بحيث تحمل أعداداً كثيرة منهم، وتقل في الوقت ذاته أعداد السيارات وينتظم السير.. كما أن مراكز البريد وأجهزة الهاتف والاتصال الأخرى تزداد يوماً بعد يوم، ويتسامح رجال المواصلات كثيراً في عدم التأكيد على الحصول على

البديل المادي من الحاج في سبيل أداء مهمة اتصاله، فهم يعلمون الظروف التي تمر بالحاج في هذه الفترة بالذات، ولذلك فهم لا يدققون في توفر البديل المادي بشكل يعترض اتصال الحاج بمن يريد، أو يعترض انتقاله من منطقة إلى أخرى من المشاعر المقدسة.

ـ وهناك رجال المرور الذين يعملون داخل المشاعر، ويقع على عاتق هؤلاء مسؤولية غير يسيرة، خاصة إذا علمنا أن أداء المشاعر مرتبط بأوقات تكاد تكون محدودة، فيعمل رجال المرور على محاولة إيصال الحاج إلى النقطة القادمة بأسرع وقت وأفضل وسيلة، بحيث لا تؤثر سرعة الوقت على الأنظمة التي رسمت خصيصاً لهذه المناسبة، ورجال المرور على احتكاك دائم مع الحجاج، وكثير من الحجاج يريدون الوصول إلى نقطهم القادمة قبل الغير، فيحاول رجل المرور التنسيق بين هذه الرغبة وبين عدم الإضرار بالآخرين من الحجاج فيضطر إلى عدم تحقيق رغبات شخصية، وعليه فموقعه صعب، ومع المحاولات الإرشادية والنصح بإتباع أساليب المرور يبقى أولئك الذين يتجاوزون أنظمة المرور في سبيل أن يوفروا على أنفسهم دقائق أو ساعات معدودة، وهذا مما يزيد رجل المرور إحراجاً، ولكنه مع هذا يتمشى مع خطة مرورية شاملة يراد بها ومنها أن يصل الجميع إلى النقطة التالية في وقت معقول.

ـ وهناك شباب الكشافة الذين يقفون عوناً لرجال المرور ويقومون بتوجيه الحجاج وإرشادهم والبحث عن الضال منهم وتوصيل من وجد من «الضالين» إلى أهله. ويقومون بتوفير خدمات كثيرة للحجاج فهم في هذا فئة مساعدة للأصناف الآنف ذكرها فما أجمل المنظر حين ترى كشافاً يقود حاجاً إلى مرفق من المرافق العامة وقد أسلم الحاج القيادة لهذا الفتى مبدياً إعجابه به، وبالفكرة التي يقوم بها وبالرجال الذين عملوا على توفير مثل هذه الخدمة الإنسانية النبيلة.

ـ وهناك رجال البلدية وما يوفرونه من خدمات جلى لضيوف الرحمن، فهم حريصون على أن يكون الماء متوفراً، وهم حريصون على حقوق الحاج في إقامته ومأكله ومشربه ونظافة المشاعر، والحرص على خلوها من مسببات التلوث.

ـ وهناك رجال الكهرباء الذين يعملون على توفير النور في كل بقعة بحيث يصبح الليل مضيئاً، فهم مع رجال الإنارة في عمل دائب للتأكد من أن الظلام لا يخيم على مساكن الحجاج وخيامهم وطرقاتهم، وهم في هذا يعملون على تقليص الخطر القائم على استعمال أدوات الإنارة الصغيرة والقائمة على استعمال الغاز أو الكيروسين وقوداً لها، وفي هذه الأدوات خطر، ورجال الكهرباء من خير من يقوم على تلافي ذلك.

ـ وهناك أهل مكة والمشاعر الذين يستضيفون هذا العدد المتزايد عاماً بعد آخر بصدر رحب، ويجندون لهم أوقاتهم وطاقاتهم ويعملون متطوعين على إسداء بعض الخدمات الإنسانية التي قد لا تنتظر المختصين للقيام بها.. فهناك من أهل مكة من يبذلون أشياء كثيرة من مال ومسكن ومؤن وأطعمة وأخرى نحوها، وجهود أهل مكة في هذا المجال معروفة يضرب بها المثل، فأهل مكة أدرى بشعابها، ولم تطلق هذه المقولة عبثاً، ويكفي هؤلاء فخراً أنهم يستضيفون العالم، وأنهم يقطنون بقعة من أطهر بقاع الأرض على الإطلاق، ولذلك فقط سموا إلى هذا المستوى الرفيع، يشاطرهم في هذا أهل المدينة المنورة، فأولئك أيضاً لهم أياد طويلة في خدمة زوار مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ـ وما قيل في جميع الرجال في المشاعر ينطبق على المدينة المنورة.

ـ وهناك الرجال الذين يعملون من وراء الستار وهم أولئك الذين جرى ذكرهم في مستهل هذه الصفحة، إذ إن هؤلاء الرجال قد حملوا على عواتقهم العمل على دراسة العقبات والنظر فيها من جميع الجوانب،

وعليه فقد شكلت اللجان واستعين بالخبراء وعقدت الجلسات على مدار العام، والخطط لمواسم حج قادمة لا للموسم القادم، فالمشروعات الضخمة من شق الأنفاق وتعبيد الطرق وبناء المرافق وإقامة الجسور لا تخضع هذه جميعها لمجهود سنة واحدة، بل حسب ضخامة المشروع. . ويقوم بالدراسة وإجراء الأبحاث والتخطيط نخبة من رجال هذا البلد ممن يعملون فكرهم وخبرتهم وعلمهم ويكرسون جهودهم كلها في سبيل النهوض بخدمات الحج عامة موجهين في هذا من قبل المسؤولين الذين أعطوهم النور الأخضر في سبيل الوصول إلى أفضل السبل وأحدث وسائل التقنية دون النظر إلى الإمكانات المادية على أنها عقبة تقف في الطريق.

ـ وهناك الرجال الذين يقومون بالتنفيذ لهذه المشروعات من المقاولين والمهندسين والعاملين فهؤلاء جميعاً يمرون بفترات تجعلهم يشعرون حقاً بأنهم ينجزون عملاً نبيلاً سوف يساهم في تذليل العقبات التي تعترض طريق الحاج، وهم يعلمون أن ما يقومون به من الأهمية بحيث يخدم سير هذه الشعائر.

ـ وهناك الكثيرون الذين يساهمون في هذا الحدث الإسلامي الكبير مساهمة فعالة بمشاعرهم وأحاسيسهم من خلال تتبعهم لمعظم ما يجري حول الحج. فهم يريدون أن تظهر شعائر الحج على أكمل وجه يمكن أن يقوم به إنسان، فهم يفرحون ويحزنون تبعاً لما يحدث للحجاج على شكل منفرد كأن يضيع حاج أو يصاب آخر أو يمرض ثالث، وهكذا من حوادث جانبية تكاد تكون من مستلزمات هذه المناسبة.

وتتضافر جهود هؤلاء جميعاً وجهود غيرهم من الذين بذلوا ويبذلون في سبيل أن يخرج الحاج بانطباعات إيجابية عن شعيرة من شعائر الإسلام تعينه أن يكون متمسكاً بدينه، شاكراً لجهود العاملين على توفير

الراحة له ولجميع الحجاج دون استثناء.. وهذا من أجمل ما يمكن أن يكون في أسلوب هذه الخدمات المتضافرة وذلك أنها إنما جعلت وسيلة لأن يهتم الحاج بجانب العبادة، ويترك بقية النواحي المادية ويوفر على نفسه حتى التفكير فيها، فهي متوافرة في متناول يده، فلا ينتظر منه أن يلقى في سبيل الحصول عليها أي عناء يذكر مع أن العناء فيه زيادة في الأجر.. فهنيئاً لجميع العاملين في هذا المضمار بالأجر والثواب من اللّه تعالى أولاً وقبل كل شيء، وهنيئاً لهم راحة الضمير التي يتمتعون بها وهم يقومون بهذه الأعمال الجليلة، وهنيئاً لهم هذا الشرف الذي ينالونه وهم يؤدون أعمالهم بعيدين عن أهلهم وذويهم.. ومهما قيل فيهم ومهما بذل لهم من حوافز إلا أن ما يقومون به فوق هذا كله.. يعجز القلم عن أن يوفيه حقه.. **﴿وقل اعملوا فسيرى اللّه عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**، وكان اللّه في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٤٣٥٥

الجمعة ٥ ذو الحجة ١٤٠٤ هـ الموافق ٣١ أغسطس ١٩٨٤ م

الأمة لا تجتمع على ضلالة!

يزيد عدد المسلمين اليوم على مليار نسمة «١٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠» موزعين على أكثر من خمس وأربعين دولة، ويتكلمون أكثر من سبع وثلاثين لغة، ويتراوح عدد سكان هذه الدول بين «١٤٧,٣٨٣,٠٠٠» مائة وسبعة وأربعين وثلاثمائة وثلاثة وثمانين ألف نسمة في أندونيسيا و «١٥٤,٠٠٠» مائة وأربعة وخمسين ألف نسمة في المالديف، هذا بالإضافة إلى الأقليات المسلمة في مجتمعات غير مسلمة.

وكل بالغ من هؤلاء يرغب الوقوف في عرفة يوم التاسع من ذي الحجة، ليس بالضرورية كل عام، ولكن الرغبة على أي حال موجودة سواء كانت لأداء فريضة الحج لأول مرة، أو للعودة مرات أخرى على سبيل النافلة والتطوع أو الحج عن الآخرين.

والمملكة العربية السعودية التي تخدم الحرمين الشريفين في مكة المكرمة والمدينة المنورة لم تغلق أبوابها أمام أي حاج قادم من أي مكان من العالم، وهي لهذا لم تتوقف منذ توحيد البلاد تحت راية واحدة عن تطوير سبل الخدمات في الحج، حتى أصبح هذا الأمر من أولى واجبات البلاد، وجعلت خدمة الحرمين توسعة وتهيئة وتذليلاً للصعاب جزءاً من خططها التنموية الطموحة، ولم تتوان الحكومة في أن تطرق كل السبل

المشروعة في سبيل أن يفد الحاج فرداً أو مجموعة ويقوم بأداء المناسك وهو يدعو في كل حركة يقوم بها لمن كان سبباً في كل هذه التسهيلات.

ومع هذه الجهود فإن الأماكن المقدسة بمساحتها المحدودة لا تستوعب في الوقت الحاضر أعداداً كبيرة.. وعلى ضوئه ربما تولدت مشاكل خلال هذا التزاحم، فأشغلت الحاج ومن يخدمه عن الهدف الأساسي من قدومه للبلاد.. ولربما جعلت حجّهُ وبالا عليه إما ديناً أو آخرة.

وعليه كان لا بد للأمة أن تجتمع على وسيلة عملية واقعية بعيدة عن التنظير غير القابل للتطبيق، فكانت الوسيلة أن تحدد الأمة الإسلامية بالإجماع نسب الحجاج من كل بلاد، بحيث يكون المجموع العام للحجاج متلائماً مع الخدمات التي تقدم لضيوف الرحمن. واجتمعت الأمة على هذا، والأمة لا تجتمع على ضلالة، وطبقت ما وافقت عليه، بل ما دعت إليه، فكان هذا مدعاة إلى الانسجام والمعقولية في التحرك في المشاعر.

ولم يكن التحديد عشوائياً بحيث يعتمد على العدد من كل بلاد، ولكنه نظر إلى عدد السكان في كل بلاد إسلامية وأخذ من العدد نسبة بغض النظر عن كثافة السكان في كل بلد. والنسبة هذه ثابتة ولكن العدد يزيد على أي حال بسبب زيادة عدد السكان مع مرور السنين. وهذا يعني أن على الحكومة التي تخدم الحرمين الشريفين ـ حكومة المملكة العربية السعودية ـ أن تكون على مستوى الزيادة في العدد من حيث التخطيط لأن تكون الخدمات على نمط واحد. ولكن حكومة المملكة العربية السعودية لم تتعهد للأمة أن تكون الخدمات على نمط واحد. ولكن حكومة المملكة العربية السعودية قد أخذت على عاتقها أن تكون خدمات الحاج أفضل مما هي عليه.. وهذا ملحوظ بين عام يأتي وعام مضى، فالزيادة

في عدد الحجاج بين عامين متلاحقين طفيفة ما دامت النسبة لم تتغير وعدد سكان البلاد الإسلامية لم يزد زيادة ملحوظة، ومع هذا فإن خدمات الحجاج في زيادة مضطردة، ليس بين كل عشرة أعوام أو بين كل خمسة أعوام، ولكن بين العام الواحد والذي سبقه والذي يليه. وإخال هذه نعمة من نعم اللّه على هذه البلاد حين ينعكس خيرها على كل من يؤدي فريضة الحج من أي مكان قدم. ولعل هذا الاهتمام داخل في المفهوم الفعلي والتطبيقي لشكر النعمة الذي هو مدعاة إلى زيادتها.

واجتماع الأمة على هذه الوسيلة العملية لم يأت مجاملة لأحد، فليس في الإسلام مجاملة، ولم يكن يُدعى له في مؤتمر إسلامي على مستوى عال إن كان فيه شبهة المجاملة، ولذا نجد علماء مسلمين في المملكة العربية السعودية والبلاد العربية الإسلامية الأخرى يؤكدون على الأمة أن تلتزم بهذا الإجماع، ويناشدون الأفراد ممن أدوا فريضة الحج أن يتيحوا المجال لإخوانهم الذين لم يؤدوها ليؤدوها بطمأنينة وراحة بال تتماشى مع الجهود التي تبذلها الحكومة في المملكة العربية السعودية.

ونجد أيضاً أن زعماء المسلمين وعلماء المسلمين في البلاد الإسلامية يجددون تأييدهم لهذا الأسلوب العملي والتطبيقي في تحديد النسبة ـ وليس العدد ـ وينحون باللائمة على الأقلية من أفراد أدركوا الحكمة من هذا الأسلوب ولكنهم أبوا إلا أن يخرجوا على إجماع الأمة، علماً أن هؤلاء الأفراد لا يمثلون بالضرورة رأي المسلمين في بلادهم، بل إن الوثائق الرسمية التي نشرتها الصحافة أخيراً تثبت أنهم لا يمثلون بالضرورة المنطلق الذي يصدرون عنه.

واجتماع الأمة على تحديد النسبة إجماع ضمني على تخويل حكومة المملكة العربية السعودية في رعاية حجاج بيت اللّه الحرام، وتأمين المتطلبات الضرورية التي تكفل لهم أداء مناسكهم بأمن وطمأنينة وسلام

لا يضيرهم من خذلهم. لا يستغلهم تاجر جشع ولا يغويهم ضال مصر على ضلاله، ولا تكون المناسك مجالاً للشعارات التي لا تتعدى حدود الشعارات بعيداً عن الواقع، بعيداً عن الحكمة من الحج، بعيداً عن الهدي القويم. ولم يستغل الحج منذ أن فرضه اللّه على أمة الإسلام في الدعوة إلى الخروج على إجماع الأمة في مسيرة أو مسيرات أو في تجمعات أو في توزيع منشورات أو في إلقاء الخطب الحماسية التي تهين الإسلام والمسلمين أنفسهم في الوقت الذي تدعي فيه أنها تمثل الإسلام.

لقد عهد المسلمون موسم الحج تجمعاً طيباً ترعاه عناية اللّه تعالى يجلس فيه علماء الأمة للوعظ والإرشاد والإجابة على الأسئلة في أحكام الحج بخاصة، وفي أحكام الحياة بعامة.. وهي جلسات قد لا تكون متوافرة في بعض المجتمعات الإسلامية فتكون فترة سانحة للمسلمين من كل مكان أن يفيدوا من العلماء الذين نذروا وقتهم وعلمهم وحكمتهم للأمة، بعيدين عن ترديد الشعارات قريبين من النفس والواقع.

وستظل خدمة حجاج بيت اللّه الحرام وزوار مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وخدمة المسلمين في الحج وفي غير الحج سياسة تسير عليها حكومة المملكة العربية السعودية، وتهيء لها كل ما في وسعها من مشروعات وخدمات أثناء أداء المناسك وبعد أن يعود المسلمون إلى بلادهم. وسيظل رجال هذه البلاد يفخرون بأنهم يسعون صادقين إلى أن يكون حج كل عام أفضل من الذي سبقه. رجال الأمن في مجالهم ورجال المرور في تخصصهم ورجال وزارة الحج في مهماتهم ورجال أمارة مكة المكرمة في مواقعهم. ورجال الإحصاء في وظائفهم ورجال الصحة والطب في سهرهم وعنايتهم، وشباب الجوالة والكشافة في تفانيهم، ورجال التخطيط بين دراساتهم وأبحاثهم ومشروعاتهم، وعلماء الأمة بحكمتهم وعلمهم. ويقف وراء هؤلاء جميعاً من يبارك لهم خطاهم

ويذلل أمامهم العقبات، ويشجعهم على بذل المزيد. وهذا ما عودونا إياه، وهذا ما تعودناه منهم، فكان اللّه في عونهم، وكان اللّه في عون الجميع.

الجزيرة

الحـــج عـرفـــة

حينما يقف اليوم ضيوف الرحمن في عرفات يكونون قد اطمأنوا على أن حجهم قد وصل إلى مراحله الأخيرة. والاطمئنان هنا اطمئنان في الروح واطمئنان في النفس واطمئنان في الأبدان. وتلكم رغبات قل أن تتوفر عند كثير من الأمم التي لا تتجه إلى اللّه تعالى أولاً ثم تعمل الأسباب لتوفير هذا الاطمئنان.

خلو الحج من الأمراض والأوبئة ظاهرة تستحق التوقف، إذ أن أولئكم الحجاج قد قدموا إلى هذه البلاد الطيبة من كل فجاج الأرض. ولا نفترض هنا أن جزءاً منهم جاء يحمل معه وباء أو مرضاً، ولكننا لا نبعد الاحتمال بأن أفراداً منهم قد يكونون مصابين بأمراض معدية خاصة بين مجموعة كبيرة من الواقفين في صعيد واحد متجهين إلى إله واحد. ولكنها عناية اللّه تعالى التي تتعدى المحسوس إلى عالم المعجزات والخوارق تنبيهاً للبشر أن فوق كل ذي علم عليم.

وخلو الحج من الحركات الجانبية التي قد تثير عدم الاطمئنان في نفوس الحجاج عموماً يعد فضلاً من اللّه، ثم يحسب للقائمين على الحج من أولئكم الذين آلوا على أنفسهم أن يكون موسم حج كل عام أفضل من العام الذي سبقه. نعم! نحن نتوقع من كل مسلم قيادي أو مواطن أن

يقف جنباً إلى جنب مع قيادة هذه البلاد سعياً وراء تحقيق موسم ناجح بكل معاني النجاح. ولكننا من حيث الواقع قد نجد أن هناك حجاباً من بلاد أخرى آثروا أن يثيروا القلق في نفوس حجاج بيت اللّه ظلماً وعدواناً قصداً إلى نزع الثقة من سدنه بيت اللّه والقائمين على خدمته، ولكن هؤلاء الحجاج لم يتركوا ليحققوا أهدافهم على حساب الاطمئنان النفسي والروحي والبدني لأولئكم الذين قصدوا بيت الله تعالى خاشعين تائبين عابدين. فتحقق بذلكم الاطمئنان.

وخلو الحج من سوء التنظيم وسوء المعاملة للحجاج فضل من اللّه على مواطني هذا البلد حينما يذهبون إلى البقاع المقدسة لا ليقوموا بأداء وظيفة أنيطت بهم، ولكن ليخدموا عباد اللّه محتسبين من ذلكم الأجر من اللّه تعالى. وتجد فيهم الروح المعنوية بدرجة قل أن تجدها في أي موظف يقوم بأي عمل يراه عبئاً عليه في دول كثيرة، وينتظر اللحظة التي يتخلص فيها منه. وهؤلاء المواطنون يسدون ثغرات عدة، منهم رجال الأمن ورجال المطافىء ورجال الإسعاف ورجال التمريض ورجال الطب والكشافة البراعم والجوالة المصقولون ورجال الجمارك ورجال الجوازات ورجال الخطوط الجوية والبحرية، ومنهم رجال التوعية والإرشاد والدعوة إلى اللّه على بصيرة.

هم رجال هذا البلد المتطوعون لخدمة حجاج بيت اللّه تحت لواء قيادة عربية مسلمة أخلصت عملها للّه وحده. هم جهاز متكامل يسهم في أن يكون حج هذا العام خالياً من أي منغص يعكر الصفاء الروحي الذي يريد أن يعيشه أولئكم الذين يقفون بين يدي اللّه تعالى في يوم عرفة ليغفر لهم ويهيء لهم من يقودهم إلى الخير والفلاح ديناً ودنيا.

وخلو الحج من النقص في الماء والمواد التي تعين الرجال والنساء على مواصلة شعائرهم نعمة من اللّه أنعم بها على بيته العتيق تجبي إليه

ثمرات كل شيء. ويتعدى الأمر مجرد توفير الماء البارد والمستعمل للأغراض الأخرى وتوفير الغذاء إلى أن يوزع الماء والغذاء مجاناً على حجاج بيت اللّه، فتجد في منى وعرفة ومكة الحافلات المعدة للتبريد وقد شرعت أبوابها وتمد يد الخير منها خيراً عميماً ولسان الحال يقول: اجتهدوا في عبادتكم ودعواتكم واتركوا الباقي علينا، فإنما نحن في خدمتكم ما دمتم في ضيافتنا، اطمئنوا فالاطمئنان مدعاة إلى كمال الحج.

وخلو الحج من الزحام في المواقع التي اعتاد الحجاج فيها الزحام مدعاة إلى النظر في التخطيط السليم الذي أسهم في التفريج عن الحجاج وساعدهم في القيام بشعائرهم بطمأنينة أغنتهم عن الدفع ورد الدفع والانشغال بشق الطريق على حساب الدعاء والعبادة. تلكم الأنفاق والجسور لم تقم شامخة لتشير إلى الترف والتسابق في ماديات الحضارة، وإنما قامت لأن في قيامها خدمة لعباد اللّه لا ينتظر منها مقابل، فلا تدفع المكوس مقابل العبور من خلالها أو عليها كما يفعلون في بلاد أخرى بعيدة عنها في مسافاتها وفي منطلقاتها وفي القصد من مشروعاتها. أمتنا بفضل اللّه أمة متميزة تحس بما عليها من مسؤولية تجاه الأمم الأخرى وتسعى إلى تحقيق هذه المسؤولية من خلال تلكم الإنجازات التي لم تتوقف يوماً واحداً منذ أن أنعم اللّه على هذه البلاد بوحدتها وأمنها وطمأنينتها، فامتد الأمن والطمأنينة إلى الأمة كلها حتى صارت تنظر إلى هذه البلاد على أنها مثل يحتذى رغم الشعارات التي ظهرت في العقد الأخير في بلد إسلامي وأشعرت البعض بأنها تريد أن تكون مثلاً يحتذي، فما كان منها إلا أن ضربت مثلاً خبيثاً في أنواع القلق وفقدان الأمن والطمأنينة.

وغداً يطل علينا جميعاً عيد الأضحى المبارك فننحر الأضاحي وينحر الحجاج الهدي ونقتدي بأبينا إبراهيم عليه السلام وبسنة رسولنا

محمد عليه الصلاة والسلام. ولسنا بحاجة أبداً إلى أن ننسى أننا في بلد قد أنعم اللّه عليه بالاطمئنان في الروح وفي النفس وفي الأبدان. وفق اللّه الجميع لما فيه خير الأمة، وجعله عيداً مباركاً على كل مسلم ومسلمة. وقبل اللّه من الحجاج حجهم وأعادهم إلى أهلهم وبلادهم وهم مغمورون بالأمان والاطمئنان. وكان اللّه في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٥٧٧٧

السبت ١٠ ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ٢٣ يوليو ١٩٨٨ م

الحج.. والجاليات.. والوضوح!

يتزايد الإقبال على الإسلام في كل مكان. وتقول بعض الدراسات أن المسلمين سيفوقون الديانات الأخرى في غضون القرن الخامس عشر الهجري/ الحادي والعشرين الميلادي رغم المحاولات الجادة في تحويل المسلمين عن دينهم عن طريق الغذاء والدواء والتعليم والتدريب.

وفي المملكة العربية السعودية نرى هذه الظاهرة واضحة من خلال إسلام كثير من ذوي الاتجاهات والديانات الأخرى على أيدي العلماء والقضاة وأئمة المساجد وأصحاب الشركات والعاملين في مجال الدعوة إلى الله. ومما يدعو إلى مزيد من التفاؤل قيام مكاتب تحرص على متابعة الجاليات غير المسلمة تبين لهم الإسلام على حقيقته من حيث أصوله وأحكامه، ثم تترك الفرد يقرر بنفسه حول رغبته في التحول إلى الإسلام أو الاستمرار على معتقده ولكن برؤية واضحة عن الإسلام. ولا تتردد هذه المكاتب في تقديم الإسلام، فلا يثنيها عدم هداية بعض المنتفعين المستفيدين من المعلومات التي تقدمها، فالهداية من الله تعالى.

ولأن المسلم يعيش الإسلام فإنه لا يتصور بحال ذلكم الشعور الذي ينتاب ذلك الفرد القلق جداً الذي يبحث عن الطمأنينة والاطمئنان على مستقبله البعيد والقريب، فإذا علم نظرة الإسلام للمستقبل والحياة

ومصدر الرزق ومصدر الشفاء ومصدر الهداية وجدته ينبهر لما يعيشه الفرد المسلم من تفاعل مع الحياة. . هذا التفاعل الذي تقوده تلكم الرؤية الواضحة. فيقبل هذا على مراكز الجاليات يدرس أكثر ويناقش أكثر ويقرأ أكثر ويتأكد أكثر من ذي قبل، فيبدأ منطلق التحفظ يخف عنده، خاصة أنه قد أعطي صورة غير صادقة عن هذا الدين، رسخها أولئك الذين نظروا إلى هذا الدين على أنه يهدد منافعهم الذاتية.

وتحرص مراكز الجاليات رغم إمكاناتها المحدودة على أن تتابع الجاليات في برامج منها القيام بحملات إلى مكة المكرمة في رمضان المبارك لأداء العمرة وفي موسم الحج لأداء فريضة الحج لدى هؤلاء الأفراد الجدد في معلوماتهم عن الدين بالعموم، ويلاحظ هؤلاء الأشخاص الموجهون شيئاً من البطء في الفهم عند التطبيق في المناسك والمشاعر، لأن الحديث النظري على جوانب تطبيقية لا يكفل القدرة على التطبيق دون استمرار في التوجيه. وليس هذا مقصوراً على المناسك، بل هو واضح حتى في الصلاة التي تتكرر مع المرء خمس مرات في اليوم على الأقل. ومثل هذا يحتاج إلى شيء من الصبر والتحمل ممن يجعل من نفسه موجهاً لشخص يمارس الشعائر لأول مرة، وفي وقت وعمر يكون متأخراً في حياته.

* * من المناسب في حق هؤلاء القادمين الجدد أن تسير الأمور في المناسك سيراً جيداً بحيث تراعى فيها الدقة والصحة في أدائها دون اللجوء إلى الاجتهادات الجانبية التي ليست بالضرورة محل إجماع من علماء الأمة. فإذا جاز للمتمرس المتنقل أن يلجأ إلى بعض الآراء ذات الطابع المرن. فلعله قصداً إلى كمال الحج ألا يلجأ هؤلاء وللوهلة الأولى إلى هذا، إلى أن يتبين لهم بوضوح جواز هذا وهذا ولكن أحدهما أفضل من الآخر وربما ينطبق الآخر على حالات خاصة كالكبر والمرض أو نحوهما.

* * ومن المناسب أن يظهر موسم الحج أمام هؤلاء القادمين الجدد وأمام العالم كله الذي بدأ يرقب هذا الموسم بالمظهر اللائق الذي يتناسب والإمكانات التي بذلت والخدمات التي قدمت وتقدم الإنجازات التي تترى، فلا يسمح لفئة مهما كان توجهها أن تستغل هذا الموسم الروحاني في ممارسات لا تليق به، ولم تمارس منذ أن شرع الله الحج والعمرة على أمة محمد ﷺ. فيكون الحج صافياً نقياً بعيداً عن الشعارات والهتافات والمهاترات التي يقصد منها الإساءة إلى هذا التجمع الطيب الذي يتحقق فيه مفهوم الأمة. وعلى هؤلاء المشوشين أن يجلسوا مع أنفسهم جلسة صادقة «موضوعية» فيها بناء واعتبار للآخرين القادمين من كل حدب وصوب ليؤدوا مناسكهم بيسر واطمئنان، ويجلسوا مع أنفسهم ويدرسوا مصداقية ما يقومون به من أنشطة اتفق علماء المسلمين على أنها تتنافى مع الروح الجماعية والمشاعر الإيمانية التي تصحب عادة كل منسك من مناسك الحج.

* * والمسلم الجديد على الإسلام، والمسلم الذي شط وأراد أن يعود عودة صادقة لا يريد أن يرى مثل هذه الممارسات الشائنة في المشاعر من أولئك المارقين خاصة إذا كانت تقاد باسم الدين، ولم يكن الدين قائماً في يوم من الأيام على الشعارات والهتافات وممارسات الغوغاء. ولا يصدق هذا على المسلم الجديد وعلى المسلم العائد فحسب، بل هو وارد لدى كل المسلمين ولكن الفئتين الأولى والثانية من المسلمين نتيجة لعدم الإدراك قد تؤثر هذه الممارسات على إسلامهم أو على عودتهم. أما المسلم فإنه يرفض هذا الأسلوب ويمجه فيزداد تمسكاً بدينه ويزداد فهماً لما ينطلق منه أولئك النفر الذين لا يمثلون بحال إلا فترة من الزمن في تاريخ الإسلام، ومن ثم يزداد هؤلاء تأييداً لرفض هذه الأساليب، فيصدر هذا منهم عن قناعة، وقد كانوا من قبل يجدون في أنفسهم شيئاً كان نتيجة للدعاية التي أثبتت الواقعية عدم صدقها.

* * إن المراكز التي تهتم بالجاليات والتي بدأت تنتشر في البلاد بمباركة من المسؤولين عن الدعوة وبما تقوم به من أنشطة عملية وميدانية تحرص على أن تقدم لهؤلاء القادمين الجدد هذا الدين ناصعاً واضحاً بعيداً عن الغموض والتخيلات والطقوس التي هرب منها هؤلاء، فلا يقبلون العودة إليها والوقوع فيها بطريقة أخرى. . والحج تجسيد لوحدة الأمة فيه من المعاني العملية ما تفقده الأمم الأخرى، فليس من الحكمة أن يعكر صفو هذه الوحدة الممارسة على الواقع بعض التصرفات الناتجة عن فئة محدودة جداً، بل من أفراد قد لا يؤمن كثير منهم بما يقومون به، والأحداث أثبتت شيئاً من هذا. ولسنا بصدد العودة إلى أحداث موثقة.

والدعوة إلى الوقوف في طريق المعكرين لا تقتصر على موسم الحج، بل إنها مصاحبة للدعوة إلى الله والحرص على تكثير الأمة في العدد والنوع. وهذا يتطلب تكثيفاً في الجهود وتوحيداً في الصف ما دام الاتفاق على المبدأ والمنطلق متوافراً. فكان الله في عون الجميع.

الجزيرة، العدد ٦٤٧١

الأحد ٢٤ ذو القعدة ١٤١٠ هـ الموافق ١٧ يونيه ١٩٩٠ م.

الحجاج.. والتخلُّف..!!

تحت عنوان «الحاج: ما له وما عليه» أصدرت وزارة الحج والأوقاف التعليمات الخاصة بحج هذا العام. وقد جاءت التعليمات بمقدمة وثمانية أبواب وخاتمة.

وكانت المقدمة بياناً صادراً عن وزارة الداخلية يؤكد على عدم سماح الحكومة في المملكة العربية السعودية بسوء استغلال موسم الحج للأفكار التي تتنافى مع الروح المتوخاة للحج.

وجاءت الأبواب الثمانية على النحو التالي:

الباب الأول: واجبات الحاج الكريم، وتتعلق الواجبات بما ينبغي للحاج أن يقوم به من إجراءات حال وصوله إلى البلاد.

الباب الثاني: أجور الخدمات والنقل وكيفية سدادها.

الباب الثالث: مواعيد القدوم والمغادرة، سواء كان ذلك عن طريق البر أو البحر أو الجو، وفصَّل هذا الباب مواعيد الانتقال بين الحرمين الشريفين.

الباب الرابع: الواجبات والخدمات التي تقدمها المؤسسات الأهلية للحجاج مثل المطوفين، والأدلاء والوكلاء والزمازمة. وهذا الباب جاء

من أوسع الأبواب الثمانية نظراً لضرورة ضبط الخدمات وعدم تركها لاجتهادات المؤسسات الأهلية أو اجتهادات الأفراد في فرض خدمات قد لا تكون من طبيعة ما تقوم به المؤسسات الأهلية.

الباب الخامس: ضوابط إسكان الحجاج الموافق عليها بالأمر السامي الكريم رقم ٥٦٨/ في ١١/٧/ ١٤١٠ هـ.

الباب السادس: التعليمات الواجبة على النقابة العامة للسيارات وشركات سيارات نقل الحجاج.

الباب السابع: تعليمات عودة الحجاج إلى بلادهم.

الباب الثامن: تعليمات عامة قد لا تكون داخلة في الأبواب السبعة السالفة ذكرها.

وجاءت الخاتمة تؤكد قيام وزارة الحج والأوقاف بالعمل على تذليل جميع الصعوبات التي قد تواجه الحاج وهو يؤدي هذه الشعيرة، وتؤكد على حرصها على تنفيذ التعليمات الصادرة، تعاونها في هذا الأجهزة المتخصصة.

وكل باب من الأبواب الثمانية يحتاج إلى وقفات يبين فيها مدى «التطور» الذي تمر به خدمات الحجاج ومدى حرص الوزارة على نجاح كل موسم، بحيث تكفل هذه التعليمات سهولة في الأداء واحتراماً لمشاعر الحجاج وحفظاً لحقوقهم وتأكيداً على ما عليهم من واجبات. والذين سبق لهم الحج في السنوات القليلة الماضية يدركون تماماً أن الوزارة تعني ما تقول في هذه التعليمات وتعمل على تطبيقها من أجل الحاج نفسه.

وما يمكن التوقف عنده من هذه التعليمات في هذه الزاوية هو الباب السابع الذي يتعلق بعودة الحجاج إلى بلادهم بعد أدائهم الفريضة، وجاءت مغادرة البلاد بعد إعلان وزارة الصحة نظافة الحج. واتخذت

اعتبارات لحجاج الجو واعتبارات لحجاج البحر واعتبارات أخرى لحجاج البر، فلكل وسيلة نقل ظروفها، ولكن الوزارة أكدت على حجاج البر مغادرة مكة المكرمة في موعد أقصاه الخامس من محرم، وقد هيأت الدولة مدن الحجاج لمن تتأخر عودتهم نظراً لظروف حجوزاتهم أو اعتبارات وسائل النقل. وعلى أي حال فالمتوقع ألا يتخلف حاج من حجاج أي عام بعد نهاية شهر محرم.

والتأكيد هنا ينصب على عزم هذه التعليمات عدم السماح بالتخلف مقصداً إلى العمل بالمملكة العربية السعودية. فالعمل تحكمه تعليمات محددة. ومسؤولية مغادرة الحاج للبلاد ليست مقصورة عليه، ولكن تتحملها معه وسائل النقل التي تحمله في طريق العودة، ويطلب منها تقديم بيانات مناسبة بأسماء وأرقام جوازات من تعود بهم. وتقارن بالبيانات التي تبين القدوم، وينظر إلى أسباب الفرق إن وجد. وعادة ما يوجد الفرق إذا ما قرر الحاج سلفاً تغيير وسيلة النقل بحيث تختلف وسيلة العودة عن وسيلة القدوم وهكذا. والأمر لا يبدو يسيراً. ولكن الرجال العالمين في هذه المهمات يجعلونه بعون من الله تعالى في حكم اليسير.

ومع هذا فيحصل أحياناً نسبة يسيرة من الحجاج الذين لا يطَّلع على مغادرتهم البلاد، فيأخذون حكم المتخلفين قصداً إلى البحث عن عمل ولو بأجر زهيد عند أشخاص يتسترون عليهم لما يوفِّرونه لهم من مادة في الأجر وفي تكاليف الحصول عليهم من القنوات الرسمية.

ولكنهم يدركون أن الأجر زهيد، فيبدأون بالبحث عن مزيد من الدخل، إما بترك صاحبهم أو بالعمل في الأوقات التي لا يعملون بها عند صاحبهم.

والتعليمات هنا واضحة في عدم التستر على المتخلفين مهما كانت

نوعية العلاقة بالمتخلف. وهناك طرق نظامية تسمح بالتخلف إلى أجل، ولكن مجرد التخلف والتستر عليه بطريق غير نظامي يُخضع المتستر للعقوبة المحددة نظاماً، كما يخضع المتخلف لعقوبة تليق به ربما كان أقلها ترحيله من البلاد.

وغالباً ما تتحمل الجهات الرسمية نفقات ترحيل المتخلفين، وربما رأى البعض أن هذا لا يكفي في العقوبة، فيدعو نظرياً إلى مصادرة ما حصل عليه المتخلف من ريع في الفترة التي تخلف بها، إن بقي معه ريع يذكر. وهذه نظرة تعين على صرامة الإجراء، ولكنها قد لا تكون من الناحية الإنسانية مرغوباً فيها نظراً أولاً لأن هذه الإجراءات تتخذ ضد أناس مسلمين بالدرجة الأولى، ونظراً ثانياً إلى أن هؤلاء المتخلفين فقراء في الأصل، وتخلفهم دعت إليه حالهم المادية ورغبتهم في استغلال فرص العمل المتوافرة في البلاد، ونظراً ثالثاً إلى أن القصد من هذا كله حماية البلاد من الأضرار التي تنجم عن التخلف، فتخل بالأمن الوطني وتعين على سوء المعاملة مع المتخلفين، وتزيد في جشع بعض الناس في عدم دفع الكفاية مقابل العمل الذي يقوم به المتخلف. وفي الأمر هذا كله حماية وحفظ لكرامة هذا الإنسان الذي اضطرته ظروف العيش إلى أن يتبع هذا الأسلوب في البحث عن لقمة العيش. ومع التعاطف الإنساني ومن منطلق إسلامي مع هذه الفئة من الناس إلا أن البلاد محدودة في قدرتها على استيعاب الأعداد، وفي حاجتها إلى العاملين، وفي رغبتها في تنظيم الحياة الاجتماعية للمواطن والمقيم على حد سواء، بحيث لا يكون هناك في هذا التنظيم ما يجعله متعذر التطبيق.

ولذا جاء من التعليمات ما يؤكد على عدم السماح باستغلال الأرصفة أو المساجد في العيش أو النوم أو الإقامة. والعيش على الأرصفة والنوم عليها من المظاهر التي تتنافى مع ما وصلت إليه هذه

البلاد من تقدم ووعي في نظامها وفي تطبيقه. وليس من الحكمة أن يكلف الحاج نفسه مالاً ليصل إلى مكة المكرمة، وعندما يصل إليها يفترش الأرض بين المحلات التجارية أو جوار الحرم. ولعل هذا يتنافى مع الركن والأمور هنا تعبدية محكومة بالنصوص، وليست اندفاعاً عاطفياً يغفل جانب التفكير السليم والتخطيط للمرحلة الطويلة سلفاً وتأمين المسكن والمعيش، أو أن تكون الرحلة قصداً إلى التكسب المادي إما بالعمل غير المشروع نظاماً أو باستغلال عواطف الحجاج والتسوّل بينهم.

ومسألة التسول في الحج قضية تحتاج أيضاً إلى توقف مع إدراك لما تقوم به وزارة الحج والأجهزة الأمنية الأخرى في القضاء على هذه المشكلة، إلا أن التعامل مع الإنسان يقوده دائماً إلى شيء من النقص غير المقصود نظراً لأن هذا لإنسان يبتكر عادة طرقاً لا تسمح للنظام أن يقع عليها، فكان الله في عون القائمين على الحج، وكان الله في عون الجميع.

عزّت أمة ترفرفين عليها

كنت في سفر خارج مدينة الرياض وفي الطريق كانت تمر بي قوافل من حجاج بيت الله من بلاد الخليج والشام. وكنت أرى هذه القوافل وكأنها تتدافع إلى مجمعات أقيمت على مسافات معقولة من الطريق.. زودت هذه المجمعات بالوحدات الطبية ووحدات الدفاع المدني وكل ما يلزم الحاج من المأوى والخدمة التي يحتاج إليها. وفوق كل هذا زودت هذه المجمعات بالرجال الذين يضحون بالشيء الكثير في سبيل خدمة حجاج بيت الله امتداداً لخدمة الحرمين الشريفين ممثلين في هذا كله الجهود التي تبذلها حكومة خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي العهد: هؤلاء الرجال هم رجال الجوالة والكشافة ورجال الدفاع المدني والهلال الأحمر ورجال الجوازات والجمارك وغيرهم من الرجال كثير.

كانت القوافل تمر بي أو تقابلني وأنا عائد فتعيد إلى الذهن ما كان عليه الحاج قبل أن تنعم هذه البلاد بنعمة الأمن والاستقرار. كنت أتصور معسكرات لقطاع الطريق على الحاج بدلاً من مجمعات اليوم. وكنت أتصور قوافل الحجاج تتدافع خائفة وجلة لا تأمن على نفسها فلا ترى ما يدعو إلى إلقاء عصا الترحال لبرهة من الزمن حتى يلتقط الحاج أنفاسه، وترتاح العير وتتزود بما يعينها على السفر ومواصلة المسير. وكنت أتصور

أهل الحاج وهم يودعونه من مصر أو الشام أو العراق أو غيرها من بلاد المسلمين، فلا يعلمون أيعود إليهم سليماً قد أدى فريضته أم لا يعود على الإطلاق. تلكم أيها الإخوة كانت معسكرات وهذه اليوم مجمعات وشتان بين معسكرات يسودها روح العدوان، ومجمعات تسودها روح الخير والصلاح. مجمعات اليوم ترفرف عليها وفي وسطها راية التوحيد تملي على كل حاج يقف تحتها النهج الذي أخذ أبناء هذه البلاد عليه العهد أن يرعوها ويرعوا كل من يقف تحتها. وقلت في نفسي وأنا أمر بهذه المعسكرات ترفرف عليها الراية: «رايتي! عزت أمة ترفرفين عليها. أمتي عزت راية ترفرف عليك».

الأمان في الحج

وسمعت خطبة الجمعة قبل الماضية من إذاعة القرآن الكريم، ولعلها كانت تنقل من المسجد النبوي الشريف، ركز فيها الخطيب على الأمان في الحج ونبه كل من تسول له نفسه، إرباك مسيرة الحاج سواء عن طريق النشل من متاع الحاج أو عن طريق التشويش على الحجاج بعذاب الله لهم يوم القيامة حيث يدنسون شعيرة من أفضل الشعائر. وذكرهم كذلك بسياسة هذه الحكومة التي تخدم الحرمين الشريفين في عدم تهاونها مع هؤلاء ومع جميع من قد يستغلون هذا الموسم لتحقيق رغبات دنيوية خارجة عن الروح التي يجب أن يكون عليها الحج حيث لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج.

والأمان في الحج لا يقتصر على هذا فحسب، بل تحرص حكومة خادم الحرمين الشريفين على جميع أنواع الأمان. أي أنها تحرص على كل ما يخدم الحاج ويجعله يؤدي فريضته دون أن يشغل نفسه في التفكير في الحصول على الماء البارد في فصل الصيف أو الحصول على الغذاء

والمأوى، فقد أعفي كل حاج من هذا العناء، وكأن القائمين على الحج يقدمون له بطاقة عند دخوله حدود هذه البلاد الآمنة. وقد كتب عليها: مرحباً بك حاجاً إلى بيت الله الحرام. اتجه إلى الله تعالى ودع الأمور الأخرى لخدمتك كلها علينا.

وتذكروا أن بطاقة مثل هذه كأنها وزعت على أكثر من مليون حاج، وهي تحمل الصيغة ذاتها دون النظر إلى خلفية هذا الحاج المادية ومكانته الاجتماعية وثقله السياسي، لأن هذه الخدمات يسرتها بلادنا للجميع، كما أن الجميع يلبسون الإحرام والجميع في هذا سواسية، وخيرهم من قرب إلى الله بالتقوى. ذلكم أمان أي أمان عندما يتعدى الأمن من الخوف إلى الأمن الغذائي والأمن الاجتماعي والأمن في عبادة الله. وعزت أمة ترفرف عليها راية الأمان.

المتطوعون في الحج

واستقبل موسم هذا الحج الفكرة الجديدة وهي وجود مجموعات غير قليلة من المتطوعين لخدمة حجاج بيت الله الحرام. لقد تعودنا في مواسم الحج الماضية أن نرى رجال الأمن ورجال المرور ورجال الحرس الوطني وشباب الجوالة والكشافة يخدمون حجاج بيت الله. وكنت ترى الشاب الكشاف وهو يقود حاجاً كبير السن إلى حيث يسكن هذا الحاج، وترى الحاج وقد (تشبث) بيد الكشاف لسانه يلهج له بالدعاء ولمن أعان على وجوده هنا يهديه إلى حيث يريد. وترى في هذا الموسم تكثيف الخدمات حينما يقبل المسؤولون عن الحج بفكرة وجود متطوعين تراهم في المشاعر فتعرفهم من خلال ما يرتدون، يتفانون في تقديم ما يحتاجه الحاج من راحة، ويتنافسون في هذا وهم لا يرجون من وراء ذلك كله إلا الثواب من الله تعالى.. ويقبل المسؤولون عن الحج في بلادنا لهذه

الفكرة الخيرة فلا يحرمون الباحثين عن الأجر والثواب هذه الفرصة ولكنهم لا يدعون هذه الفكرة دون أن تخضع للضوابط التي تخدم المصلحة العامة لحجاج بيت الله الحرام.

الموسم المتجدد

إن موسم الحج أيها القارئ الكريم، أيتها القارئة الكريمة، موسم متجدد. ومن حيث الخدمات فإنه في كل موسم ترى التحسين في الخدمات. ولم تتوقف المشروعات أن تتوقف بإذن الله.. انظروا إن شئتم إلى الأسلوب المتجدد في الاستفادة من الهدي وقارنوه إن شئتم بالأساليب الماضية التي لا تزيد عن عشر سنين. اليوم يستفيد من الهدي فقراء المسلمين في كل مكان من بلاد المسلمين. ويستفيدون منها على مدار العام بفضل من الله ثم بفضل من استخدام التقنية الحديثة وتطويعها لهذا الغرض. ولابد من التذكير بأن هذا الأسلوب ليس مجال تجارة أو ربح، وإنما هو خدمة تقدمه هذه البلاد إلى العباد المسلمين في كل مكان.

وانظروا إن شئتم إلى مشاريع التوسعة للحرمين الشريفين وما سوف توفره للحاج من مقدرة على أن يصلي ويطوف ويسعى بكل راحة وطمأنينة. وانظروا إن شئتم إلى نظام الطوافة والمطوفين كيف ترعاه الدولة وتشرف عليه وتسن له الأنظمة التي تكفل راحة الحاج. وانظروا إن شئتم إلى عرفة الأمس وعرفة اليوم وعرفة الغد، وكذا منى ومزدلفة الأمس واليوم والغد.. ومع هذا كله تجدون ردود المسؤولين على من يشيد بهذه المشروعات والإنجازات بأنهم لم يؤدوا أكثر من الواجب عليهم خدمة للحرمين الشريفين وقاصديهما من حجاج بيت الله الحرام، وتلكم نعمة من نعم الله تحتاج من الجميع إلى الشكر لتزيد.

عود على المجمعات

الذي لفت نظري في هذه المجمعات أن بعض البلديات في القرى والمدن التي يمر بها طريق الحاج سواء المتوجه منهم إلى المدينة المنورة أولاً أو المتجه إلى مكة المكرمة هذه البلديات بدأت تنصب الخيام وتضع اللافتات الترحيبية بحجاج بيت الله فقلت في نفسي: هل سيكون هذا النهج مجالاً للتنافس بين البلديات في سبيل خدمة الحجاج، فتجند الطاقات الموجودة في كل مدينة أو قرية، ويتطوع الشباب في الخدمة وتقوم الجمعيات الخيرية بتقديم خدماتها للحجاج؟ هذا ما لمسته كنهج إسلامي مخلص في بلادنا. وهي نظرة شاملة لدى الجميع من مواطني هذه البلاد على تقديم كل ما يحتاجه الحاج من خدمة وتسهيلات توصله إلى المشاعر وتعيده إلى بلاده وقد حمل معه انطباعة طيبة عن إخوته في بلاد الخير والهناء والاستقرار، في بلاد أخذت على عاتقها حماية وخدمة مصالح المسلمين في كل مكان. وأخذت على نفسها العهد بأن تحمى وتخدم بيوت الله. فكان الله في عون هؤلاء، وكان الله في عون الجميع.

الجزيرة

حمـلات الحجـاج..!

الحج مثل غيره من العبادات علاقة قوية مع اللّه تعالى متجددة، فالذين حجوا عشرات السنين يجدون في كل حجة نوعاً جديداً من العلاقة مع اللّه تعالى. لا يستطيع الحاج أن يقول إن حجه عاماً مضى كان يشبه تماماً حجه عاماً سبقه أو عاماً لحقه، فكل حجة لها طعمها الخاص. ومثل ذلك صيام شهر رمضان المبارك والصلوات الخمس، إذ ليست صلاة المغرب مثلاً يوم السبت مثل صلاة المغرب يوم الأحد أو يوم الجمعة، هي علاقة متجددة بعيدة عن الرتابة والاعتياد.

يبدو أنه كلما أحس المرء بتجدد العلاقة كان أقرب إلى اللّه تعالى من ذلكم الشخص الذي تبدو له الأمور سواء في حجه وصومه وصلاته وزكاته وأمور عبادته ومعاملاته مع اللّه تعالى ومع الناس.

ورحلة الحج والمناسك هي كذلك متجددة. وكل عام يمر يختلف عن العام الذي سبقه، وهذا فضل من اللّه تعالى أن هيأ لهذه البلاد من القادة والرجال من جعلوا جل همهم أن يقدموا للحاج كل وسيلة تعين على أداء أفضل لهذا النسك الطيب.

ولا يقتصر هذا على المناسك نفسها، ولكنه يشمل رحلة الحج من المنطلق إلى الوصول إلى المشاعر، فالرحلة نفسها تمر بتطورات جميلة يستفاد فيها من عقبات الماضي في دراسات تقويمية مستمرة.

وفي مجتمعنا اليوم ومع نهاية شهر رمضان المبارك نبدأ نلحظ الإعلان عن حملات الحج. وهذه ظاهرة مستجدة عندنا، وإن كانت موجودة من قبل في مجتمعات إسلامية أخرى، إلا أننا كنا ولا يزال بعضنا يركب سيارته مع أهله أو صحبه ويتوجه إلى بيت اللّه الحرام حاجاً وقد ضمن الزاد والراحلة. فيلقى شيئاً من عنت السفر وتعب تحديد المكان ونصب الخيمة وغيرها من المتطلبات التي كانت مثار متعة وتسلية للنفس لما فيها من احتساب الأجر عند اللّه مع زيادة المشقة.

والحملات اليوم تأخذ الحاج من بيته وتعيده إلى بيته، ولو سمح الشرع لبعضها لحجت عنه وهو في بيته لما لديها من الخدمات والتسهيلات والمتابعة الدقيقة ليس في الجوانب المادية فحسب، ولكن أيضاً من توخيها أفضل السبل لأداء حج مبرور يكون جزاؤه الجنة، فيكون في الحملة رجال مخلصون وفيهم العالمون بالنسك المتفقهون في آراء العلماء في كل حركة من حركات الحج، وتكون الرحلة ماتعة سواء كانت عن طريق البر أو عن طريق الجو عندما يستغل وقت الرحلة بالمفيد وتتجنب الممارسات التي قد تدخل في الرفث أو الفسوق أو الجدال، إذ لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج.

وأظن أن مستقبل رحلات الحج سوف يركز على هذه الحملات وسوف تتضائل الرحلات «الشخصية» مما يستدعي من المسؤولين مزيداً من الضبط وأخذ الاحتياطات تجنباً لاستغلال هذه الفكرة الطيبة من بعض ضعاف النفوس ضعاف الإيمان أولئك الذين يسعون إلى الكسب المادي البحت.

هنيئاً لحجاج بيت اللّه الحرام يتجديد عهدهم مع اللّه تعالى وبخوضهم تجربة جديدة، وإن كانوا قد خاضوها من قبل فليس حج الأمس كحج اليوم، مما يستدعي حمد اللّه تعالى والثناء عليه على هذا التيسير المتواصل. وكان اللّه في عون الجميع.

البلاد، العدد ١٠٢٠٤

الإثنين ٧ ذو الحجة ١٤١٢ هـ الموافق ١٩٩٢ م